موقف جمعية العلماء الجزائريين من الثورة
-تحليل لمقالات الشيخ محمد البشير الإبراهيمي-

أ. قاسي فريدة
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية -قسنطينة

اعتادت بعض الأدبيات التاريخية ربط المسألة الاستعمارية بغيرها من التشكيلات السياسية للحركة الوطنية الجزائرية، والتصوُّر الموروث جعلنا نربط دائما اسم عبد الحميد بن باديس ومن بعده جمعية العلماء بالنهضة الإسلامية في الجزائر.

إن مثل هذه المناهج الحضرية تقصي ابن باديس والعلماء من الحقل السياسي المناهض للاستعمار الذي يصبح حكرًا على تنظيمات سياسية دون غيرها من الجمعيات الثقافية والدينية التي كان لها دور في تنبيه النفوس وتحضير العقول لغد مهما كان بعيدًا[1].

---

[1]-mohamed guentari, organisation politico-administrative et militaire de la révolution Algérienne de (1954 à 1962)- volume I Alger, 1994, p 73.

هذا من جانب، ومن جانب آخر هناك من اعتقد أن الثورة إنّما هي وليدة حزب وليست وليدة شعب، بل هي وليدة جماعة كانت تعمل في الخفاء وليست وليدة قيادة وطنية مؤمنة وعريضة كانت تعمل سرًا وعلانية.

ولعلّ من سلبيات الكتابة حتى الآن –عن الثورة الجزائرية هو عدم تحديد معانيها ومدلولاتها، فهل الثورة تعني حمل السّلاح فقط؟ وهل الثورة هي فكرة تختمر وتنضج حتى تصبح مشروعا حضاريا كبيرًا وعملا مباشرا قابلا للإنجاز؟ أم هي شرارة بندقية ولعلعة رصاص لتخلّي العدوّ عما اغتصبه اغتصابا[1].

إنّ الإجابة على هذه التساؤلات تنهي الخوض في موضوعات: من أعدّ للثورة؟ وما منطلقها؟ وما أهدافها القريبة والبعيدة؟ وما علاقتها بالتراث الوطني؟ وما انتماؤها الفكري؟ من جهة أخرى تنهي الجدل العقيم حول دور جمعية العلماء في تفجير الثورة ودعمها ومساندتها؟

إنّ الحديث عن النهضة الإسلامية في الجزائر-خلال الثلاثينات- كما بنتها ورعتها الحركة الإسلامية في إطار جمعية العلماء يعني الحديث عن الثورة والحركة والسيادة واستعادة القوة المسلوبة.

لقد تعدّدت المقاربات واختلفت حول الجمعية لكن ما يجمعها هو تركيزها على رسالتها الثقافية والدينية والاجتماعية ذات البعد الحضاري في المجتمع الجزائري.

إنّ ما طرحه الاستعمار كمشروع لضرب الهوية الجزائرية –هو أكيد- أهمّ وأخطر بكثير من الإصلاحات السياسية وخوض المعارك الانتخابية.

---

[1]- محمد القورصو، "ابن باديس والمسألة الاستعمارية"، -نصوص ملتقى: الفكر السياسي الجزائري، 25-26، سبتمبر -2005، ص 85.

لقد اتخذ العلماء من "الكلمة" وسيلة لتعبئة الشعب الجزائري وتغذيته فكريًا وإذكاء الروح الثورية فيه لاسترداد سيادته المسلوبة.

لقد لعبوا دورًا هامًا –عن طريق وسائل متنوعة كالتّعليم والوعظ والإرشاد والصّحافة في إيقاظ الشعب الجزائري من سباته وتعريفه بأصالته وتاريخه، وتثبيت الإسلام كمشروع بديل للطّرح الاستغرابي الفرنسي.

يقول في ذلك ابن باديس، "نحن نعمل لصالح الأمّة في دينها ودنياها على نور الكتاب والسنة وهدي السّلف الصّالح، فتتمسّك الأمة بإسلامها وعروبتها وتحافظ على قوميتها وتاريخها، وتتناول أسباب الحياة والتقدّم من كل جنس ولغة، وتعمل مع كل عامل لخير البشرية وسعادة الإنسان"[1].

إنّ الدين الإسلامي هو دين ثوري تحرّري جاء ثورة على كل أشكال الفساد والظّلم والعدوان، ويعتبر الجهاد بالسيّف والقلم من أبرز أساليبه الثورية التغييرية، وهو ما أكّده أحد رجالات الجمعية الشيخ العربي التبسّي –رحمه الله– بقوله:

"... إنّ الإسلام ثورة تحتاج سيولها العارمة كل من يأخذ على البشرية طريقها إلى التحرّر الوجداني الذي هو من أقدس حقوق الإنسان يجاهد في سبيلها بكل أسلوب من أساليب الجهاد..."[2].

إنّ جمعية العلماء كانت وما تزال تحفر هوّة بين الحضارتين العربية الإسلامية والفرنسية، نظرا لما تقوم به من عمل في تعميق للثقافة الإسلامية العربية، وعلى الرّغم

---

[1]– محمد القورصو، "ابن باديس والمسألة الاستعمارية"، ص ص 86-87.

[2]– أحمد شوقي الرفاعي، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، 2ج، ط.1، باتنة، دار الشهاب، 1984، ج1، ص 202.

من أنّها تدّعي بأنّها الأساسية فإنّها نواة للأحزاب الوطنية وقاعدة ثابتة ينمو فوقها الشعور الوطني الإسلامي.

وهو ما يوضح قلق السّلطات الفرنسية من حركة العلماء المسلمين التي تعتبرها مختلف التقارير الإدارية الأمّ الحقيقية لحركة الأحزاب الوطنيّة الجزائرية.

فقد جاء في تقرير محافظ الشرطة ببرج بوعريريج "إن ازدياد نفوذ العلماء هو الخطر الحقيقي على السيادة الفرنسية في الجزائر... لأن هدفهم هو تكوين الإنسان المسلم الحقيقي والذي يتحتم عليه أن يجهل ويحتقر كل ما هو غير إسلامي..." إن نشاط الجمعية يدخل في إطار تنظيم المجتمع خارج القوانين الفرنسية ويدفعون الشعب إلى العزلة عن الإدارة ويرفضون كل تدخل فرنسي في شؤونهم الخاصة، كما أن الإصلاح في الجزائر يمثل مدرسة حقيقية وطنية مذهبية"[1].

إنّ المشكلة الجزائرية عند جمعية العلماء هي مشكلة وطنية وليست مشكلة إصلاحات، فالإصلاح هو منهج ووسيلة عمل لا أكثر، وبالتالي فإنّ أهمّ المبادئ التي دافعت عنها فكرة أنّ الجزائر أمة عربية إسلامية، ودعوة الشعب الجزائري إلى التعلّق أكثر فأكثر بالوطن الجزائري[2].

---

[1] - L'Algérie du demi siècle janvier, 1954.

نقلاً عن بوصفصاف عبد الكريم، جمعية العلماء المسلمين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى (1931-1945)- دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة -الجزائر، م .م. و. ك، 1983، ص 317.

[2]- عبد الله شريّط، مع الفكر السيّاسي الحديث والمجهود الإيديولوجي في الجزائر، م. و. ك، الجزائر، 1986، ص ص 134-135.

إنّ العلماء هم أوّل من جهر باسم الوطن الجزائري بل اعتبروا الوطن قبل كل شيء في حركتهم أيام كانت كلمة الوطن والوطنية كلمة إجرامية لا يستطيع أحد أن يتفوّه بها.

لقد كانوا أوّل من طرح المعنى الصّحيح لفكرة القومية الجزائرية التي تعني الدين، الوطن، العروبة، الإصلاح، فهذه التّعابير كلّها تعني مفهوما واحدا وتعبّر عن الكيان الجزائري المتميّز عن الأمّة المستعمرة التي تحاول دمج الشعب الجزائري المتميّز عن الأمّة المستعمرة التي تحاول دمج الشعب الجزائري في مجتمعها الأصلي: "فالجنسية القومية هي مجموع تلك المقوّمات وتلك المميّزات، وهذه المقوّمات والمميّزات هي اللغة التي يعرب ويتأدّب بآدابها، والعقيدة التي يبني حياته على أساسها، والذكريات التاريخية التي يعيش عليها وينظر لمستقبله من خلالها، والشعور المشترك بينه وبين من يشاركه في هذه المميّزات والمقوّمات والجنسية السياسية أن يكون لشعب ما لشعب آخر من حقوق مدنية واجتماعية وسياسية، وأن يكون عليه مثل ما على الآخر من واجبات اشتركا في القيام بها لظروف ومصالح ربطت فيما بينهما"[1].

لقد انطلقت جمعية العلماء في حركتها الوطنية من واقع المجتمع الجزائري الذي فقد كل منابع المعرفة نتيجة لسياسة التّجهيل التي اتّبعتها السّلطات الاستعمارية في الجزائر.

ولمّا كان قادتها يدركون أنّ الشّعب الجاهل لا يمكنه الحصول على استقلاله من أعدائه، كما أنّه عاجز عمليا على المحافظة عليه بعد تحقيقه، اتّخذوا من المدرسة أداة

---

[1]- عبد الحميد ابن باديس، نصوص مختارة، من خطاب رئيس جمعية العلماء سنة 1937، ص ص 59-60.

أساسية لمكافحة الجهل ومحاربة الاستعمار، على أساس أنّ التّعليم هو اللّبنة الأولى في يقظة الشعب حيث أنّ الثقافة العربية التي تربط بماضيه وحاضره قد أوشكت على الاندثار والذوبان في كيان المجتمع الفرنسي[1].

وبالتّالي فقد ركّزوا على إصلاح معتقد وسلوك المجتمع الجزائري ولم يقتصر عملهم على الدّفاع عن حقوقه المادّية والأدبية[2].

لقد تميّز نشاط العلماء بإرادة الوصول إلى الاستقلال الوطني بسير متبصّر والهدف هو رفع الاستعباد عن المجتمع الجزائري.

ومع تطوّر الحركة الوطنية تعلّقت الجمعية أكثر فأكثر ببعث الإحساس القوي والشّعور الوطني في الشعب الجزائري للدّفاع عن الوطن ومحاربة المستعمر البغيض. يقول ابن باديس "إنّنا نحبّ من يحبّ وطننا ويخدمه، ونبغض من يبغضه ويظلمه، فلهذا نبذل غاية الجهد في خدمة وطننا الجزائري، نخلص لكل من يخلص له، ونناوئ كلّ من يناوئه من بنيه وغير بنيه"[3].

ثمّ يتطرد قائلا: "إنّ الاستقلال حق طبيعي لكل أمّة من أمم الدنيا، وقد استقلّت أمم كانت دوننا في القوة، والعلم والمنفعة والحضارة... وليس من العسير بل من الممكن

---

[1]- رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الوطنية، (د.ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975، ص 199.

[2] - Ch.A. julien, l'Afrique du Nord en marche, Paris. 1972 . p 172.

[3]- جريدة المنتقد، ع1، 2 جويلية 1925، ص ص 1، 5.

أن يأتي يوم تبلغ فيه الجزائر درجة عالية من الرّقي خاصة، وتصبح البلاد الجزائرية مستقلة استقلالا واسعًا، وتعتمد عليها فرنسا اعتماد الحرّ على الحرّ"[1].

وعندما اشتدّ وطيس الحرب الثانية اجتمع بابن باديس جماعة من أنصار حركته فقال: عاهدوني، فلمّا أعطي له العهد قال: "إنّي سأعلن الثورة على فرنسا عندما تشهر عليها ايطاليا الحرب".

وفي هذا الصّدد ذكر روبير أجرون أن بعض العلماء صّرحوا بأنّ الجزائر ستنال الاستقلال بسبب هذه الحرب كما هو الحال بالنّسبة لمصر بعدّ الحرب العالمية الأولى[2].

إنّ الشهادات المسجّلة من طرف المسؤولين الفرنسيين* في مختلف أنحاء القطر الجزائري حول النشاط المتزايد لجمعية العلماء –أثناء الحرب العالمية الثانية– تشكّل مادة أساسية لاستخلاص دور الجمعية في تطوّر الحركة الوطنية، حيث أثبتت التقارير المختلفة عداوَة العلماء للسيادة الفرنسية في الجزائر، وأهميّة الدّور الذي قامت به مؤسستهم على مستوى جميع الأصعدة في توعية الشعب الجزائري العربي المسلم، وتكوين جيل جديد يؤمن بمبادئ الجمعية وأهدافها الرّامية إلى فصل الجزائر عن فرنسا في ميدان التحرّر الوطني.

---

[1]– الشهاب، مج 12، ج3، جوان 1936، ص ص 145–146.

[2]- charles rober tageron, l'histoire de l'Algérie contemporaine (1871-1954), ta, paris, 1979, p 579.

انظر تقارير الشرطة الفرنسية لسنة 1941 بأرشيف ولاية قسنطينة.

إنّ هذا المجهود الوطني الذي قامت به جمعيته لا يطرح أي تناقض فيما يتعلّق بموقفها من الثورة التحريرية، بل يدلّ دلالة قاطعة على تثمين هذا الدّور بدعمها لها ومساندتها ومباركتها.

فرغم الاضطراب والتردّد في اتخاذ موقف واضح –في البداية- بسبب عنصر المفاجأة الذي سارت به الأحداث، وهذا ما نستشفّه ممّا كتبته جريدة البصائر (5 نوفمبر 1954): "لا يمكن أن نقدّم أي تعليق على الأحداث إلى أن تظهر لنا الحقيقة"[1].

إلاّ أنّ الجمعية وعلى لسان رئيسها –الشيخ محمّد البشير الإبراهيمي سرعان ما بادرت إلى مباركة الثورة وتأييدها تأييداً مطلقا لأنّها جاءت لنصرة دين الله –عز

---

[1]- الغالي الغربي، فرنسا والثورة الجزائرية (1954-1958)، (د.ط)، غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر 2009، ص 143.

نشير إلى أن هناك من أفراد الجمعية من عارض الثورة والانضمام إليها، ومن أبرزهم الشيخ خير الدين حيث اتّسمت مواقفه اتّجاهها بالسّلبية، وفي ردّه على عرض انضمام الجمعية إلى ركب الثورة كان ردّه: "إنّنا لا نريد أن نعتبر كأعداء، لكنّنا حين تحالفنا في ماي 1945 مع حزب الشعب الجزائري في إطار منظمة أنصار البيان والحرية، دفعنا ثمن تصرفات هذا الحزب، أمّا اليوم فإنّ الوضع يختلف إنّنا لسنا طرفا فيما وقع، لقد تحركتم وحدكم فادفعوا الثمن وحدكم".

انظر:

Ahmed Nadir, le mouvement reformiste Alerien. Paris. pp 161-162.

وجل- وهي ثورة المظلوم على الظالم[1]، وتلتقي في نفس المنطلقات والممارسات والأهداف التي كانت تؤمن بها الجمعية وتدعوا إليها[2].

إذن عندما اندلعت الثورة الجزائرية أذاع مكتب جمعية العلماء بالقاهرة بيانا أوضح فيه أنّ لهيب الثورة قد اندلع في عدّة جهات من القطر الجزائري، وأنّ هذا جاء نتيجة لعواقب السياسة البليدة التي تسوس بها فرنسا شمال إفريقيا.

وذكّر بأنّ لهيب الثورة المتأجّج في تونس والمغرب لمدعاة إلى تأججّه في الجزائر، فوحدة الأقطار المغاربية تقتضي وحدة المصير، وهذا المصير مقرون بموت فرنسا واندثارها: "الشمال الإفريقي قطع متجاورات، إرث العروبّة والإسلام، اجتمعت في كل شيء وهو من صنع الله عز وجل، فإذا اجتمعت اليوم في الثورة على ظلم فرنسا وطغيانها، فعل هذا هو آخر الجوامع الإلهية التي تغضّ بها إلى أوّلها"[3].

وقد أكّد البيان على الامتداد العربي والإسلامي للجزائر واستقلال هويتها الحضارية عن فرنسا، وأنّها جزء من الوطن العربي الكبير، فينبغي لتأييد ثورتها وتشجيع استمرارها لتضمن بلوغ أهدافها: "الجزائر تعتبر قطعة ثمينة من الوطن العربي الكبير وليست قطعة من فرنسا وبالتالي ضرورة تأييد ثورتها وهي سائرة إلى الالتحام والانسجام لفئات صادقة من حكومات الشرق العربي بالإمداد والتشجيع، فإنّ أخشى

---

[1]- عمد الإبراهيمي إلى كشف حقيقة الاستعمار في أكثر من مناسبة، وفضح أساليبه وفظائعه أنظر: البشير الإبراهيمي، "طرائق الاستعمار الخبيثة"، الشهاب، ع 36، 1932، ص 315.

[2]- محمّد البشير الإبراهيمي، في قلب المعركة، ط1، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1997، ص.4.

[3]- البشير الإبراهيمي، في قلب المعركة، ص 22.

ما نخشاه على هذه الحركات أن تشتعل ثم تنطفئ لعدم الوقود ولو أن أغنياءنا في هذا الشرق...أنفقوا في سبيل إخوانهم المعذّبين لتحررت أرض المغرب كلّها"[1].

عقب ذلك أصدرت الجمعية بيانا في 11 نوفمبر 1954 بعنوان "أوسع المعلومات عن بداية الثورة" جاء فيه: انفجر بركان الثورة المباركة في الجزائر ليلة أوّل نوفمبر وقد كنّا نحن الجزائريين الموجودين خارج الجزائر نترقّب هذه الثورة ونتوقعها، نترقّبها لأنّها الأمل الوحيد في تحريرنا من العسف الفرنسي الذي لا يعرفه إلاّ من ابتلي به، ونتوقعها لأنّ فرنسا لا تفهم إلا هذه اللغة ولا يفتح آذانها إلاّ هذا الصّوت... إنّنا نتساءل كيف ابتدأت الثورة، وما هي العناصر التي قامت بها وبأية صبغة تصطبغ؟ وإلى أيّ اتجاه تتجه؟ حتى نبني على مقدّماتها الصّحيحة نتائج.

وكخطوة منه لتأكيد وتدعيم العمل الثوري وجّه الإبراهيمي نداءً إلى الشعب الجزائري المجاهد وذكّره بفظاعة الاستعمار الفرنسي ومخازيه وأنّه منذ وطئ أرض الجزائر لم يحترم دينا ولا عهدا ولا قانونا ولا إنسانية، وأنك –أيها الشعب– طالبتها بلسان الحق والعدل والقانون والإنسانية فما استجابت، ولم تقترف بحقوقك الطبيعية، فاليوم أنت في موقف لا خيار فيه فاختر ميتة الشرف على حياة العبودية.

ثمّ أكّد له أن طريق الكفاح المسلّح هو الطّريق الصّحيح "أيّها الإخوة الأحرار هلمّوا إلى الكفاح المسلّح... إنّنا كلّما ذكرنا ما فعلت فرنسا بالدين الإسلامي في

---

[1] – "مبادئ الثورة في الجزائر"، بيان أصدره مكتب جمعية العلماء الجزائريين بالقاهرة يوم 2 نوفمبر 1954 ووزّع على الصّحافة المصرية ووكالات الأنباء المحلية.

انظر: أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الشيخ محمّد البشير الإبراهيمي، ط.1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1997، ج5، ص 37.

الجزائر، وذكرنا فظائعها في معاملة المسلمين، لا لشيء إلاّ لأنّهم مسلمون خجلنا من الله أن يرانا ويراهم مقصّرين في الجهاد لإعلاء كلمته، وكلّما استعرضنا الواجبات وجدنا أنّ أوجبها وألزمها في أعناقنا إنّما هو الكفاح المسلّح فهو الذي يسقط علينا الواجب، ويدفع عنّا وعن ديننا العار...فسيروا على بركة الله –عز وجل– وبعونه وتوفيقه إلى ميدان الكفاح المسلّح..."[1]

وهذا يدّل بوضوح على موقف الجمعية من الثورة – على لسان رئيسها – وتأييدها لها، وحث الأمة الجزائرية على ضرورة الجهاد والصبر والثبات والتضامن من أجل التطلع إلى النصر القريب.

لم تكتف الجمعية بتدعيم الثورة من خلال بيانات المساندة ودعوة الشعب الجزائري إلى الجهاد والعمل المسلح في وجه العدو الفرنسي بل سعت إلى تأسيس "جبهة تحرير الجزائر" بمبادئها وميثاقها وأهدافها، تدعم جبهة التحرير الوطني: "في الجزائر العربية المسلمة اليوم كفاح مسلح خطير لأجل استرجاع سيادتها واستقلالها... وكان من الطبيعي والحالة هذه أن تتوحد جهود المسؤولين الجزائريين الموجودين بالقاهرة* وأن يكونوا يدا واحدة في خدمة الجزائر، والكفاح في سبيل تحريرها

---

[1]– صدر هذا البيان عن مكتب جمعية العلماء بالقاهرة من طرف البشير الإبراهيمي والفضيل الورتلاني في 15 نوفمبر 1954.

أنظر: نصّ البيان كاملا في: الفضيل الورتلاني، الجزائر الثائرة

*تمّ توقيع ميثاق الجبهة من طرف السّادة: محمّد البشير الإبراهيمي، أحمد من غنّة، أحمد بيّوض، محمّد خيضر، والشاذلي مكّي، الفضيل الورتلاني، حسين لحول، حسين آيت أحمد، محمّد بزيد.

واستقلالها مساندين بذلك جبهة التحرير، وعاملين على إنجاح الحركة الثورية القائمة الآن في الجزائر"[1].

إذن سعى البشير الإبراهيمي من خلال "جبهة تحرير الجزائر" إلى تعضيد الثورة الجزائرية وتنسيق الأعمال مع جبهة التحرير الوطني تنسيقا وثيقا لحث الشعب الجزائري بهيئاته وأفراده على الالتحام وتأييد حركة الكفاح من أجل الحرية والاستقلال.

ومن مهام الجبهة مراقبة التطور السياسي في الداخل والخارج وتعبئة جهودها للدعاية لصالح القضية الجزائرية بكل الوسائل.

ولتحقيق المهام شكلت الجبهة لجنتين ومكتبا إداريا:

أ — لجنة المساعدة للعمل الايجابي في الداخل ومهمتها تدبير حاجيات جيش التحرير.

ب- لجنة الاتصالات ومهمتها العمل على إثارة الرأي العام الدولي فيما يتعلق بالقضية الجزائرية واتخاذ كل الإجراءات لصالحها.

جـ— المكتب الإداري ويتكوّن من سكرتارية وأمانة الصندوق ومهمته تسيير الإدارة وإعداد جدول الأعمال والمحافظة على أموال الجبهة ووثائقها[2].

---

[1]- انظر نص الديباجة كاملا بتاريخ 24 جمادى الثانية 1374هـ/17 فبراير 1955 في: محمد الإبراهيمي، في قلب المعركة، ص ص 38 — 39.

ونشير أن هناك اختلاف في نص الديباجة عند الورتلاني.

انظر: الجزائر الثائرة، ص ص 219 -221.

[2]- فتحي الديب، عبد الناصر وثورة الجزائر، ط.1، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1981، ص 62.

وقد جاء في البيان الصحفي الصادر عن مكتب جمعية العلماء بالقاهرة في 21 مارس 1955، بعد إعطاء تفصيل عن الوضع العسكري والسياسي في الجزائر ما يلي:

"من أجل ذلك اتخذنا نحن الجزائريين المسؤولين المقيمين بالقاهرة في جبهة واحدة في جبهة تحرير الجزائر عاملين على مساندة الشعب الجزائري في كفاحه القومي من أجل الحرية والاستقلال"[1]

ومما جاء في ميثاق الجبهة[2]

1- يعتبر الشعب الجزائري —على اختلاف أفراده وهيئاته — كتلة واحدة هي الأمة الجزائرية.

2- تعمل جبهة تحرير الجزائر ضد الاستعمار الفرنسي وكل سيطرة أجنبية مستعملة كل الوسائل لتحقيق أهدافها .

3- الجزائر عربية الجنس مسلمة العقيدة، فهي بالإسلام والعروبة كانت، وعلى الإسلام والعروبة تعيش، وهي في ذلك تحترم سائر الأديان والمعتقدات والأجناس، وتشهر بسائر النظم العنصرية الاستعمارية.

4- الجزائر جزأ لا يتجزأ من المغرب العربي الذي هو جزء من المغرب العربي الكبير، وأن اتجاهها إلى العروبة وتعاونها مع الشعوب والحكومات والجامعة العربية أمر طبيعي.

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج-5- طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص 278.

[2]- بالنسبة للائحة الداخلية لجبهة تحرير الجزائر.

انظر: أحمد طالب الإبراهيمي، الآثار، ج 5 — ص 55.

5- الإيمان بوجوب توحيد الكفاح بين أقطار المغرب العربي الثلاثة تونس – الجزائر – مراكش

6- جبهة تحرير الجزائر مستعدة من الآن أن تندمج في هيئة أجمع وأشمل للأقطار المغربية الثلاثة بنظام يوضع ومسؤوليات تحدّد، وتهيب بالقائمين على الحركات التحريرية في كل من تونس ومرّاكش أن يضعوا أيديهم في يديها، وأن يعملوا معها على تأسيس هيئة تنظّم الجميع.

7- تهيب جبهة تحرير الجزائر في القاهرة بإخوانها في العالمين العربي والإسلامي وبأحرار الدنيا جميعهم ليناصروا الجزائر في كفاحها من أجل حريتها واستقلالها، فهم بذلك يناصرون الديمقراطية الحقة والإنسانية المعذّبة والمبادئ السامية.

وقد أثنى الإبراهيمي على كفاح الشعب الجزائري المسلم الذي شكل جهاده الأصيل مضرب الأمثال والاقتداء للأمم المستضعفة في القرن العشرين، كما نوّه بصدى الثورة الجزائرية على المستوى الخارجي حيث فرضت على العالم أن يسمع مداها ويلمس أثرها ويتّبع أخبارها باهتمام وعناية وأنّ الاستعمار الفرنسي في الجزائر هو في آخر أطواره وأنّ مصيره الفناء لا محالة: "الثورة الجزائرية فصل غريب في تاريخ الإنسانية قرئ قبل أن يكتب، وفهم قبل أن يتم، وسيكون بعد أن يكتب بابا ممتازا في تاريخ الثورات التحررية"[1].

وفي إطار نشاط البشير الإبراهيمي لطلب العون والمساندة للثورة التحريرية وجّه صرختين، الأولى موجّهة إلى أبناء المغرب العربي حثّهم من خلالها إلى الاتحاد في النّضال ضدّ العدو الأجنبي، وذكّرهم بأنّ مهر الحرية غال وبالتالي فلا بدّ من توطين الأنفس

---

[1]- أحمد طالب الإبراهيمي، الآثار، ج 5، ص 179.

على تحمّل الشدائد والمكاره: "إنّكم اقتحمتم ميدانا لا تنتصرون فيه إلاّ بالاتحاد وجمع الكلمة وتسوية الصفوف وتنظيم الخطط، والصبر على البلاء في الأنفس والأموال..."[1].

كما كانت له صرخة موجهة إلى الشعوب العربية وحكوماتها لدعم ثورة الجزائر والمغرب العربي بحيث وصفهم بأبناء العمومة وأخبرهم بأن الشعوب الثائرة في تونس ومرّاكش والجزائر هم إخوانهم وأجزاء من جسمهم ونصف عددهم والقطع الخصيبة من وطنهم والسهام الرابحة في رأسمالهم، فإن ثاروا اليوم فإنّما يثورون لشرف هو شرفهم، لأن الوطن العربي جزء متلاحم لا يتجزأ أبدًا .

ووصف الدّول العربية بأنها قادرة على نجدة شعوب المغرب العربي، وهي تعلم بوجوه النجدة ولا تحتاج إلى من يعرفها بالواجب أو يدلها على الطريقة التي يؤدي بها ذلك الواجب.

وفي هذا الإطار وجّه الإبراهيمي برقية إلى الملك سعود جاء فيها: "ما زلنا نعتقد بخطوتكم الجريئة في توصية مندوبكم في مجلس الجامعة العربية ليقرر عرض القضية الجزائرية على جمعية الأمم المتحدّة باسم حكومة جلالتكم"[2].

حيث طلب الإبراهيمي من الملك أن يكلف رجلين متخصصين بجميع شؤون الجزائر، يتميزان بالإخلاص والغيرة والجرأة وهما الأستاذ أحمد بك الشّقيري، والأستاذ عبد الرحمن عزام بمتابعة قضية الجزائر والدفاع عنها باسم الملك السعودي.

---

[1]- البشير الإبراهيمي، في قلب المعركة، ص 32.

[2]- برقية أرسلها الشيخ محمد البشير الإبراهيمي إلى الملك سعود في 9 يناير 1955.

وفعلا قام هذا الأخير بتوصية مندوبه في مجلس الجامعة العربية بإثارة القضية الثقافية العربية الإسلامية بالجزائر، ثم أمره بعرض قضية الجزائر السياسية على مجلس الجامعة ليقرر عرضها على جمعية الأمم المتحدة باسم الحكومة السعودية .

وقرأ الإبراهيمي أنّ السفير السعودي بواشنطن تكلم باسم جلالة الملك سعود في قضايا الجزائر الدينية والثقافية والسياسية كلاما رسميا قويا واضحا جريئا.

وعلى أثر ذلك قام الشيخ الإبراهيمي بشكر حكومة الملك السعودي باسم الأمة الجزائرية المجاهدة وذلك لاهتمام الملك بها وقضاياها ويعتبر هذا الاهتمام مفتاح سعادتها وخيرها وآية عناية الله بها وأول الخطوات العملية لتحريرها[1].

إضافة إلى نشاطات الإبراهيمي لدعم الثورة الجزائرية، مشاركته في أسبوع الجزائر في العراق الشقيقة حيث ألقى خطابا* نيابة عن جبهة التحرير الوطني بالجزائر، مؤكدا بأنها ليست محاضرة للتعريف بالثورة الجزائرية وأبطالها، وإنما هي صوت من الجزائر يجب أن يسمع في كل وقت وفي جميع المحافل.

وقدّم الشكر لجميع المسؤولين على أنهم فكروا في أن يقام للجزائر في العراق الشقيق أسبوع، ثم أشاد بجهاد الشعب الجزائري بإيمان ثابت وصبر مستميت وأنّ هذا الجهاد يتطلب زكاة من عربي المشرق إلى عربي المغرب كي يتعزز ويستمرّ.

ووضّح الإبراهيمي للشعب العراقي أشكال الاستعمار الفرنسي بحيث كان في بادئ الأمر استغلال ومصلحة، تسلّط وقهر ثم أصبح في آخر مرة مرضا وسعارا حيث نهايته أن يَقتل أو يُقتل.

---

[1]- أحمد طالب الإبراهيمي، الآثار، ج 5، ص 176.

*- محاضرة ارتجلها الشيخ الإبراهيمي في شهر ماي 1957 بمناسبة وجوده في العراق.

وفي دعوة للعراقيين لمساندة الثورة أكّد الشيخ أن خطباء وشعراء الدول العربية تغنّوا بالثورة الجزائرية لكن هذا غير كاف، فالواجب يقتضي تقديم الإعانة لأخوتهم المجاهدين في سبيل العروبة التي هي أم الجميع، والإسلام الذي هو دين الجميع وذلك بالأعمال لا بالأقوال.

وطلب من المسؤولين أن يجعلوا هذا الأسبوع كالينبوع يفور ولا يغور كماء دجلة يفيض ولا يغيض ...[1]

وتدعيما للثورة انتقل الشيخ الإبراهيمي إلى باكستان سنة 1952 حيث مثّل الجزائر في مؤتمر شعوب العالم الإسلامي، بحيث أتيحت له الفرصة خلال هذه الزيارة أن يتجوّل في باكستان حتى بلغ كشمير شمالا و الكويت شرقا والتقى بطبقات الشعب وألقى عشرات المحضرات في المعاهد والجامعات.

وبعد قيام الشيخ بالمهمة التي قدم من أجلها لباكستان وهي طلب الإعانة المالية لثورة الجزائر قام بتوديعهم في أفريل 1957[2].

وخلاصة القول إن نشر مثل هذه الوثائق والنصوص المتعلقة بالجمعية يبرهن أكيد أنها كانت في الطليعة الثورية، وكانت مواقفها واضحة إزاء الثورة التحريرية وأن عملها ونشاطها إنما هو امتداد لرسالتها في الدفاع عن مبادئها وحق الشعب الجزائري في التمتع بشخصيته السياسية والحضارية خارج البوتقة الاستعمارية الفرنسية.

---

[1] – أحمد طالب الإبراهيمي، مصدر سابق، ج 5، ص ص 177 – 178.

[2]– زار الشيخ الإبراهيمي باكستان سنة 1956 على رأس وفد من جبهة التحرير الوطني أصيب على أثرها بحادث أدّى إلى كسر عموده الفقري مما ألزمه السرير بمستشفى جناح لعدّة شهور.
انظر، أحمد طالب الإبراهيمي، المصدر السّابق، ج5، ص 179.